

على مكتب رئيس التحرير

للأستاذ دريني خشبة

كان ذلك في المشرقة الأواخر من رمضان الماضي ...

وكانت الساعة الثانية تكاد تنقصف ... تلك الساعة التي يهد فيها الجسم ، ويخمد الذهن ، وتفتر الأعصاب ، ويستمد فيها الموظفون في جميع دواوين الحكومة للانصراف

وكنت قد انتهزت فرصة وجود مجموعة من الأدباء المروفين جاءوا لزيارتنا فأثرت موضوع الشعر المرسل Blank Verse ...

وكان الحوار قد استمر برغم هود الأجسام وخود الأذهان وفتور الأعصاب ، فهذا يرى أنه قد آن الأوان لإدخال هذا اللون من ألوان الشعر في القريض العربي ، وذلك يستكره ويضيق به ، وهذا يعرف ما له من الخطر في آداب اللغات الأوروبية ولا سيما في نظم الملحمة والدرامة والقصة ، إلا أنه لا يتصور كيف يمكن إحقاقه على الشعر العربي الذي تتحكم فيه القافية هذا

نوجه إلى المراقبين وزارة المعارف وقد اكتوت أيديهم بالتعليم ، ولطف الله بهم فلم يرهقهم بالجدول الكامل إلى أن يشارفوا سنّ الماش

إني أنظر إلى أولئك المراقبين بعين الاحترام ، لماضيهم الجليل في خدمة النهضة التعليمية ، ولكنني أعجب من سكوتهم عن مشكلة لا يجوز عنها السكوت ، وهي اختلاف القدرة البشرية باختلاف الأسنان

نم ما ذا ؟ هذا مدرس قاتل المتاهب حتى انتصر ، فبلغ الستين وهو بما فيه ، فكيف يحال إلى الماش ليعاني الفاقة في أعوامه الباقية ؟

أما بعد — وقد تمعت من أما بعد — فهذه ملاحظات أقدمها إلى معالي وزير المعارف ، راجياً أن تظفر من اهتمامه بما هي له أهل ، مع الاعتراف بأن مهنتنا قامت على أساس التضحية ، وأن حظنا هو أجل المخلوط في أسوأ الفروض وهل يشكو من يستطيع القول بأن له تلاميذ هم اللذة

إتالية في تاج الوجود ؟

في سبيلك

التحكم السخيف الذي اختص به من دون أشعار العالم

نم دعيت إلى التليفون فجاء ، وإذا أخى محمد ... مدير إدارة الرسالة يدعوني إلى الدار لكتابة مقال لأحد البعدين اللذين يطيمان قبل الميد دفعة واحدة ... ققلت له : ولماذا أحضر إلى الدار ولم أعود الكتابة خارج منزلي ؟ فذكر لي : إن هذا هو ما أشار به الأستاذ رئيس التحرير . ثم أردف هذا بأنه ينبغي أن يُفرغ من طبع العدد كله مساء ذلك اليوم ، ولذلك (فيجب) أن يبدأ الطبع في تمام الساعة الرابعة ... أي بعد ساعتين ... والأستاذ في النصورة (على فكرة !)

فتبسمت ، وقلت له ... إذن ، سأحضر !

ولم يمد في ذهني منذ هذه اللحظة أثر للشعر المرسل ، ولا للشعر الحر ، ولا لتلك الفروق الواسعة بين الشعر المرسل والشعر الحر ... بل نسيت موضوع الشعر كله ... بل نسيت زائري الأفاضل ، وإن كنت قد وضعت ذراعي في ذراع واحد منهم ، ثم توجهت معه إلى الرسالة ... سيراً على الأقدام ... ! وكان صديقي هذا هو السبب في إثارة موضوع الشعر المرسل ، فكان يحاول وصل الحوار في الطريق ، ولكن هيات ... ! لقد كنت عنه وعن الشعر المرسل في شغل ... وكان أهم ما يشغلني هو الموضوع الذي تسهل الكتابة عنه في رمضان ، وفي مثل هذا الوقت من النهار ، وفي مثل حالي من التعب وخود الذهن وفتور الأعصاب ، ... ثم ... في ساعة ... ساعة واحدة ! وأين ؟ بعيداً عن الغرفة المأهولة التي تشرف على حدائق شبرا الفناء وحقولها الفيحاء ، والتي تموت أن أكتب فيها في سهولة ويسر ، وفي غير مشقة أو عناء ...

وكنت كلما صرفت صديقي عن موضوع الشعر المرسل أبي إلا أن يعود إليه ... ققلت : إذن أشغله بما يشغلني ، وأشرکه في البحث عن الموضوع الذي تسهل الكتابة فيه بالرغم مما يحقد به من تلك الظروف ... ققلت له :

إفرض يا صديقي العزيز أنك عدت تلميذاً في المدارس الثانوية ، لا طالباً في الجامعة ... أو افرض أنك رأيت هذا فيما يرى النائم ، وأنت تجلس الآن — أي في المنام — في لجنة الامتحان لشهادة الثقافة مثلاً ... مثلاً ... وأنت تسلمت ورقة

أسئلة اللغة العربية ، فوجدت في رأسها في المكان المخصص لأسئلة الإنشاء هذا السؤال : اختر موضوعاً من عندك يتعلق بمشكلة اجتماعية من مشكلات هذا العصر واكتب فيه من ثلاثين إلى أربعين سطراً (بشرط ألا تتعرض للأحزاب المصرية بخير أو شر !) فإذا عسبت كنت تختار ؟

وافتر صديقي عن ابتسامة خبيثة طويلة عريضة وقال : كنت أكتب عن الشعر المرسل !

فقلت له : وهل للشعر المرسل علاقة بالمشكلات الاجتماعية الحاضرة ؟ أريد أن تشق على أو تشق صدرى يا أخى ؟

فقال لى وهو ما يزال محتفظاً لقمه الهائل بابتسامته الصائغة الغامضة الجامعة : كلا... ولكنه الموضوع الوحيد الذى أستطيع أن أكتب عنه بحرية مطلقة ، دون أن أتعرض للأحزاب المصرية بخير أو بشر !

وكنا قد بلغنا دار الرسالة فلم أرد عليه ؛ فلما صعدنا إلى الإدارة استأذنته فى ساعة أغيب عنه طوالها بعد أن شغلته بكتاب رجوت أن يتلحنى به عن الشعر المرسل ... ولم يفته أن يسألنى فم أصرف تلك الساعة من هذه الظهيرة القائظة ، فتبسمت ابتسامة أطول من ابتسامته وأعرض ، وأشد جيوعاً وظمأً ، ثم قلت له : حيث أجيب عن السؤال الأول من أسئلة الإنشاء فى امتحان الثقافة يا صديقى ، وسأجهد الأخرى عن الموضوع كما خرجت ... وسأجيب فى البقطة لا فى المنام !

ولست أفهم هل فطن أخى هذا إلى ما عنيت ، ولكنى فهمت من أخى محمد أننى سأجلس لكتابة المقال على مكتب الأستاذ رئيس التحرير !

عند ذلك تعاظمتى الأمر جداً ، ونظرت إلى مكتب الأستاذ رئيس التحرير نظرة عميقة خمس وعشرون سنة ، وطولها حياة مليئة بالذكريات ، وعرضها دنيا من الأدب والعلم والتلذذ ... أجل يا صديقى القارىء ...

فلقد كنت تلميذاً للأستاذ الزيات منذ نحو من ربع قرن ! وكنت قبل أن ألقاه فى المدرسة قد اتصلت به من طريق كتبه قبل ذلك ... فلقد أعطانى ابن عمى قصة « آلام قرتر » لأقرأها ... أو لأحفظها ... كما أعطانى صديق آخر كتاب

« تاريخ الأدب العربى » ليكون لى نبراساً فى مطالعائى ... فى دنيا هذا الأدب ... ومنذ ذلك العهد واصلت الزيات أقوى سلاتى بالناس جميعاً ، ولا أذكر أن الزيات كتب كلمة أو خط حرفاً أو أصدر كتاباً لم أقتنه ولم أقرأه ولم أشتغل به

نظرت إلى مكتب رئيس التحرير إذن ، وقد تعاظمتى أمر المقال المطلوب الذى لم أهتد إلى موضوعه بعد ، كما تعاظمتى أن أجلس ، أنا التلميذ المتواضع المهذب المؤدب - ولا مؤاخذه ! - إلى ذاك المكتب المتيد ، مكتب الأستاذ العظيم المهذب المؤدب ، ذلك المكتب الذى جعلت أخلق فيه مسبوها مشدوها ، وأنظر إليه تلك النظرة التى عمقها خمس وعشرون سنة ، وطولها حياة مليئة بالذكريات ، وعرضها دنيا من الأدب والعلم والتلذذ

كان على أن أفرغ من المقال - الذى لم أهتد إلى موضوعه بعد - فى ساعة ، وقد كان أخى محمد يحسب أنه وقد فلق على أبواب الحجرة المقدسة ، سيتنزل على الوحي السريع المؤاتى فادفع إليه بالمقال فى نصف تلك الساعة أو فى ربعها ، وعند ذلك يفرغ هو كما يفرغ عمال المطبعة الذين كانوا يترقبون إجازة العيد بالصبر الذى يصفه البلغاء بأنه صبر فارغ - دون أن أدري لماذا ؟

كان أخى محمد يُعنى نفسه بهذا كله ، وكان تليفون الرسالة الموجود إلى يسارى فى الحجرة المقدسة يرن فيقدم السيد محمد مسرعاً ليتولى المكالمة ، وكنت أراه ييمثر نظراته فوق الصحيفة التى أعدت للمقال المنشود فيراها لا تزال بيضاء . بيضاء ناصعة . أو بيضاء خاوية ... وكنت أرى نظراته وقد ارتدت إليه حاسرة خاسرة فأرتى له ، ولا أرتى لنفسى ... ولماذا أرتى لنفسى ، وقد كنت أستمع بلحظات سعيدة من أعظم اللحظات فى حياتى ؟ ألم أكن جالساً أضرب أجناساً لأسداس فوق مكتب أستاذى العظيم ؟ هذا المكتب الذى ربما كتب عليه الزيات فصولاً من كتابه الثمين فى تاريخ الأدب العربى ، أو ترجم فوقه فصلاً أو فصلين أو فصولاً كثيرة من آلام قرتر أو من رفايل ... أو ديج عنده خمسين أو ستين من افتتاحياته العجيبة التى جمعها فى وحي الرسالة ولم يهد إلى منها نسخة مع ما كان يعرف من مرضى وانقطاعى من الدنيا إذ ذاك ، مع أنه أهدى منها إلى

الكشوف الذى أستعجى أن أنشده ... فاستطاع حفظه الله
أن يصرف شياطين طلبية (الأعدادية ١) عنى

ولم تحصل طبعاً موازنة بين ما قلت وما قال جرير الخالد
الذى لا يعقل أن يطاوله فتى فى السابعة عشرة من عمره

ومما كانت ذا كرتى تضطرب به اضطراباً شديداً هذا الحادث
الذى وقع لى مرة مع أحد أساتذة اللغة العربية بالمدرسة ، فقد
كان هذا الأستاذ يدرس لنا الأدب قبل أن يعرضنا الله منه
بالأستاذ الزيات ، وقد كنت دائماً الاختلاف معه خصوصاً
فى كثير من تعبيراته العربية ، وقد ظن الأستاذ أننى أستخف
بمحصوله العلمى فرفع الأمر إلى ناظر المدرسة الذى تعجل
فاتهرنى على صورة من الصور ... وقد لئْتُ للناظر ولكن
لا على حساب كرامتى ؛ ثم رجوت أن يُحكّم فى أوجه الخلاف
الأستاذ الزيات ... وقد عرفت أنه أخذ باقتراحى ، لأن المدرسة
عهدت بعد أسبوع أو نحوه بالفصول (الصغيرة) إلى الأستاذ ،
وفوجئنا مفاجأة سارة بدخول الأستاذ الزيات ليدرس لنا مادة
الأدب علاوة على المواد العربية الأخرى كلها

وكافنا الزيات مرة بالكتابة عن المرأة المصرية ، ماضياً وحاضراً
ومستقبلاً . ثم انتهت الحصة ولم أفرغ من الكتابة بعد وإن كنت
قد كتبت اثنتى عشرة صفحة . فلما كانت الحصة التالية تقدمت
إلى أستاذى الجليل بكراستين كاملتين فى موضوع المرأة المصرية .
ولما سألتى متى كتبت كل هذا (الهراء ١) عبست العبوسة
الهائلة التى كان لا بد لفرور التلميذ المراهق أن يبسها ، ثم قلت :
ليس ما كتبت هراء ، ولكنه ملخص دعوة قاسم بك أمين ،
ومارد به المحافظون والرجميون عليه ، وعلى رأسهم محمد طلعت
حرب بك ... ثم بلى ذلك رأيى ، (أى والله قلت هذا بالفم
المقتلى المتهدج ١) بصفتى مصرياً أولاً وبصفتى مسلماً ثانياً ...
وكنت أحيذ آراء المرحوم قاسم بك فى ذلك الحين إلى حد
الجنون ، ولا أرى فيها ما بنى الدين ولا الكرامة ولا الحشمة .
ولكن الزيات تبسم فى هدوء وسكينة ثم قال : لا بأس ، لا بأس !
ولكن ابحث لك عن معلم غيرى يصحح لك كراستين كاملتين
فى موضوع واحد . قلت ... وهى قوله تفيض كبراً وبكاد
يخففها الغرور : على كل حال لقد كتبت فى الموضوع الذى

جميع الناس ، بالرغم مما ذكر لى مرة أنه لا يهدى كتبه لى
أحد ... ذكرت ذلك كله واشتغلت به عن موضوع المقال ،
وذكرت لى ذلك كله عهد الصبا وثرخ الشباب ... أيام أن
كان الزيات العظيم آنق معلم مُعْتَمَ في مصر ، والشيخ الذى
يفتخر الطلاب بالتأدب عليه والتلمذ له

بيد أن بعض الحوادث سيطرت على كل تلك الذكريات
واستبدت بها ، فقد كان الأستاذ يعلى علينا يوماً عربياً فى البلاغة
وكان يعلى من ذا كرتيه دائماً ... فلما أملت بيتى جرير المشهورين
فى العيون^(١) علق عليهما هذا التعليق التقليدى الذى تحشى به
كتب الأدب ، من أنهما أحسن ما قيل فى العيون ... وهنا
بدا على شئ من الضيق جملتى أبتسم كالذى يستهزئ بهذا
الكلام ، فلما سألتى الزيات ماذا يضحكنى أجبت بصرامة : هذا
التعليق الذى تسمح به وبأمثاله كتب الأدب ، فسألتى : وله ؟
قلت لأننى أحفظ فى وصف العيون شعراً هو فى نظرى أروع
من شعر جرير وأنا مع هذا لا أعهده أروع ما قيل فى العيون ،
ولا أروع ما ينتظر أن يقال فيها ، فسألتى أن أتلو شيئاً مما
أحفظ ، قلت :

'تجمل' تظل - حوايلها نواظرتنا - حرمى من الوجد فوق الحد والجميل
لمن إجماز عيسى إن أروى نسا خيراً وفيهن أسرار المناقيد
وهنا سألتى ، أو أمرنى ، أن أكتبهما على السبورة ،
فاعذرت برداءة خطى الذى بلى منه عمال مطبعة الرسالة
الأمريين ، فكتبتهما الزيات العظيم بيده ، وكان خطه دقيقاً
أنيقاً جيداً كعهده إلى اليوم ، ثم التفت لى وسألتى عن اسم
الشاعر صاحب البيتين ، قلت هما لمسلم بن الوليد ... فقال ،
لا ... إننى أحفظ ديوان مسلم ولا أعرف أنه قائلهما ... قلت :
هما إذن للمباس بن الأحنف ... فقال : ولا للمباس يا خشبة ...
قلت : هما لى إذن وأنا ناظمهما ... وهنا ثارت فى الفصل عاصفة
شديدة من الضحك ، وأصر إخوانى الطلبة على أن يسمموا
القصيدتين كلها ، فأبيت ، واستنجدت بالزيات العظيم . فلما سألتى :
وما ذا بمنحك ؟ أسررت إليه أن معظم القصيدة فى الأدب

(١) إن العيون التى لى طرفها حور ثلثنا ثم لا يجيب هلالنا
يصرف عن ذاك حتى لا يحرك به ومن أضف خلق الله إلحاحاً

فقال : سيتناولون طعام الإفطار على مائدة مولانا !!
فقلت : حفظ الله مولانا ، ومسح الله دموع الفقراء ... عن
إذنك يا أخى محمد ... خذ المقال بعد ربع ساعة !
ثم كتبت فى وسط السطر : يا دموع الفقراء !

وفرغت مما كتبت فى خمس عشرة دقيقة ، وخرجت
فوجدت صديقى الشاعر ينتظرنى لنصل ما انقطع من حديثنا عن
الشعر المرسل ، فأكلناه على أحسن وجه حتى وصلنا إلى ميدان
الملكة فريدة ، ومشينا على الأقدام
دربى حبة

جامعة فاروق الأول

(بالاسكندرية)

« إدارة السموات والارضات »

تعلن أن شروط وموايد قبول
الطلاب المستجدين للعام الدراسى القادم
(١٩٤٣ - ١٩٤٤) فى كليات الحقوق
— والآداب — والعلوم (وتشمل قسم
الدراسة الإعدادية للطب) — والهندسة
— والزراعة — والتجارة نشرت
بالتفصيل فى عدد الوقائع المصرية رقم
(٨٨) الصادر بتاريخ ٢٩ يوليو ١٩٤٣
فعلى راغبى اللحاق بأحدى هذه الكليات
استيفاء أوراقهم وتقديمها للكلية المختصة
بالشروط الموضحة فى الاعلان الخاص بها
ويرجع إليها فى كل ما يتعلق بذلك من
الاستيضاحات

مع العلم بأن الدراسة ستبدأ فى
كلية الهندسة يوم ٢٣ أكتوبر سنة

١٩٤٣ من يوم ٩ منه ١٣٧١

كافتنا به ، ولست أرى أن ما كتبت فى حاجة إلى تصحيح (١١)
والدهش أن الزيات — بعد كل هذه الواقعة — لم يزدنى
إلا محبة ، ولم يجزئنى إلا بكل مودة ، ولم يقابلنى إلا بكل رعاية ...
مع أنى انتهزت فرصة تفتيش عهد بك الخضرى على المدرسة بعد
ذلك بأيام قلائل ، وقدمت له الكراستين مباهياً ... فشجنى
الرجل عليه رحمة الله بكلمات ، ووعدنى بقراءة موضوعى الطويل ،
وبرد الكراستين حين يفرغ منهما . وأكبر ظنى أنه لم يفتحهما
خارج المدرسة ، لأننى قدتهما إلى الأب ... فيا ترى ! ماذا
كنت قد كتبت فيهما !؟

هذا بعض ما كان يهجس فى روعى من ذكريات أستاذى
رئيس التحرير الذى كنت أجلس على مكتبه مشتغلاً بماضى معه ،
عن الموضوع الذى يجب أن أفرغ من كتابته فى نصف ساعة ،
وكان النصف الآخر قد مضى فى استعراض هذه الذكريات ...
ثم دخل أخى محمد فجأة لأمر ما من أمور الإدارة ، فلما رأى
المصحفة بيضاء هذه المرة أيضاً ، كآخى عهده بها ، اربد وجهه ،
وشعب شحوباً شديداً . وكنت قد أخذت أحلم أحلاماً أخرى
من نوع آخر ، غير أحلامى بالذكريات السالفة ، فقد انتقل
خيالى الساج إلى أدب الأستاذ الزيات شكلاً وموضوعاً ، وجعلت
أستعرض « قرتر » و « رفاثيل » استعراضاً هادئاً . فها هو ذا
« قرتر » يقبض على مسدسه لينتحر ... وها هو ذا الدم يتفجر
من جبينه بعد أن دوت تلك الرصاصة الطائشة ... وها أنذا
أبكي — يوم قرأت قرتر لأول مرة بالطبع — متأثراً أشد
التأثر ... ثم ها هى ذى جوليا ، حبيبة رفاثيل ، تموت مما بها
من مرض ، وها أنذا أتلو على رفاثيل قصيدة لامرئتين : البهيرة ،
ثم قصيدته : الوحدة ، بقلم الأستاذ الزيات ... وبعد ذلك أتذكر
وصف الفتى رفاثيل ، ذلك الوصف الرائع فى المربية بقلم الزيات ،
وفى الفرنسية بقلم لامرئتين ، فأزداد انصرافاً عن الموضوع
الضائع الذى لم أستطع أن أهتدى إليه بعد ...

ونظرت فرأيت أخى عمداً ما يزال واقفاً أمامى . فقلت له :

ما هذه الضجة التى أجمعها فى الشارع ... ؟

فقال : الهال ...

فقلت ، وقد خفت أن يكونوا همال المطبعة : ما هم ؟